الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

وصناعة الحدث التاريخي

(دراسة فلسفية)

أ.م.د. عباس محيسن حريجة اللامي

مديرية تربية محافظة ميسان/ وزارة التربية

DR.AMH1985@GMAIL.COM

الملخص:

الدراسة الموسومة (الإمام الحسين بن علي عليه السلام وصناعة الحدث التاريخي دراسة فلسفية) تبحث في جدلية العلاقة والارتباط بين الحدث والفرد وإيهما أكثر تأثيراً في صنع الآخر، وما دور كل من الحتمية والفرد وحريته في صناعة الحدث وصياغته ورسم معالمه، وتطبيقاً على هذه الفلسفة ركزت هذه الدراسة على أثر الإمام الحسين عليه السلام في صناعة واقعة الطف وتحديد خارطتها ومساراتها التاريخية، حتى إنَّها ارتبطت به واكتسبت أهميتها منه، كما وتعرضت الدراسة لبعضِ الإشكالات الروائية والتساؤلات المعقدة التي يُلمس من ظاهرها سلب حرية الفرد في رسم الحركة التاريخية ويجعلها مقيدة بنظرية التدخل الإلهي، مما يفقد الفرد فاعليته في صناعة الحدث وتحريكه ويجعل دوره سلبياً ومقيداً.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين بن علي عليه السلام، صناعة الحدث التاريخي، دراسة فلسفية.

Imam Hussein bin Ali (peace be upon him)

and the Making of Historical Events: A Philosophical Study

Asst. Prof. Dr Abbas Muhsin Harija Al-Lami

Maysan Governorate Education Directorate/Ministry of Education

dr.amh1985@gmail.com

Abstract:

The study titled “Imam Hussein ibn Ali (peace be upon him) and the Making of Historical Events: A Philosophical Study” examines the dialectical relationship and connection between events and individuals، and which of them has a greater influence in shaping the other. It explores the roles of determinism، the individual، and personal freedom in the making، formulation، and delineation of events. Applying this philosophy، the study focuses on the impact of Imam Hussein (peace be upon him) in crafting the event of Karbala، shaping its map and historical paths. The event has become intrinsically linked to him، deriving its significance from his persona. Furthermore، the study addresses certain narrative complications and complex questions that might suggest a limitation of individual freedom in influencing historical movements، attributing this limitation to the theory of divine intervention. This perspective potentially undermines the individual’s agency in event making and mobilization، rendering their role passive and constrained.

Keywords: Imam Hussein bin Ali (peace be upon him)، making of historical events، philosophical study.

المقدمة

تعددت النظريات الفلسفية في تفسير الأحداث وتعليلها وتشخيص حركتها؛ وذلك تبعاً للعوامل المحركة لها وطبيعة الحدث والنظرية التي تتناولها، ودراسة الأحداث في ضوء النظريات تلك يضفي عليها الطابع الفلسفي الذي من خلاله تطرح الأسئلة العلمية المهمة من قبيل: متى؟ وكيف؟ ولماذا؟ وغيرها، والتي تكسب الحدث الصفة العلمية والمنهجية والابتعاد عن الدراسات السردية الجامدة التي هدفها تقديم مادة تاريخية بحتة دون معالجة وتحليل ونقد.

وموضوع دراستنا هذه من الموضوعات الجديرة بالبحث والتقصي والتفسير؛ لما لها من أهمية بالغة في الفكر الإسلامي خصوصاً بل حتى العالمي عموماً؛ إذ إنَّ الرؤى الفلسفية والتاريخية والآراء الفكرية لبعض الفلاسفة والمفكرين قد اختلفت في تحديد مقدار الأثر وحجمه الذي يتركه الفرد في تحريك الحدث وصناعته، وما درجة العلاقة بينهما؟ وما نسبة تأثير أحدهما بالآخر؟ حيث نجد تضارب الآراء والنظريات الفلسفية في ذلك فمنها من تعطي الدور الكلي للإنسان، وأخرى تهمله بشكل مطلق، وغيرها تمنح أهمية مساوية ونسبية لكل من الحدث والفرد معاً.

وتأتي أهمية الموضوع من أنه يكشف لنا بعض القواعد المهمة في تفسير الأحداث ورصد حركتها التاريخية وبيان غايتها الإنسانية، فضلاً عن إكمال بعض الرؤى والأفكار للنظريات المهمة من قبيل تلك التي تبحث في دور الافراد في صناعة وصياغة الاحداث ورسمها وتحديد جهتها ومسارها التاريخي كنظرية البطل أو العظيم أو دور الفرد بصورة عامة في صنع الحدث وتخطيطه، والتي لا شَكَّ في أنَّها جميعاً تؤكد على دور الفرد وقدرته في تحريك الحدث وصناعته ورسمه وفق سنن تاريخية معينة أو ضمن حركة المجتمع وبالتنسيق مع العوامل المؤثرة الاخرى والمساهمة في صناعة الحدث.

فرضية الدراسة

وفي ضوء ذلك جاءت هذه الدراسة لتبين لنا جدلية العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام وواقعة الطف، وأيهما صنع الآخر، هل الأحداث والظروف هي من صنعت واقعة الطف؟ أم الإمام الحسين عليه السلام هو مَنْ صنعها؟ هل هناك نسبة من التأثير لبعض الظروف والأحداث قد ساعدت الإمام الحسين عليه السلام في صنع الواقعة ورسمها؟، فضلاً عن مناقشة بعض الإشكالات التاريخية التي تتخلل هذه التساؤلات، منها ما مدى مسألة حتمية واقعة الطف؟ وما دور العناية الالهية في رسمها وتخطيطها؟، وما مقدار الحرية التي كان يمتلكها الإمام عليه السلام في حركته اتجاه المستجدات والمتغيرات آنذاك سواء أكانت السياسية أم حتى العسكرية؟ وغيرها من الإشكالات والتساؤلات التي سنتناولها في متن هذه الدراسة بشيء من التفصيل.

هيكلية الدراسة

ووفقاً لطبيعة المادة العلمية فقد قسمت الدراسة على مبحثين أساسين سبقا بمقدمة وانتهيتا بخاتمة لأهم النتائج المستخلصة، تناول المبحث الأول الذي كان عنوانه محرك التاريخ عند الفلاسفة إذ تناول مجمل آراء الفلاسفة والمفكرين في بيان حدود الفرد وفاعلية في صناعة الحدث وقد اختلفوا فيما بينهم في تشخيص ذلك إلاَّ أنَّهم اتفقوا على أهمية الدور الذي يلعبه الفرد في صناعة الحدث ورسم مساراته وخطوط تحركه مع تطبيق ذلك على دور الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف، في حين خصص المبحث الثاني لبحث موضوع إشكالات أثر الفرد في صناعة الحدث التاريخي وتشخيص بعض الإشكالات والتساؤلات المهمة ودراستها في ضوء أثر وفاعلية الفرد في صناعة الحدث.

المبحث الأول

محرك التاريخ عند الفلاسفة

هناك العديد من الآراء والعوامل التي تفسر وتعلل الحركة التاريخية ومن جميع جوانبها ومعطياتها الفلسفية والحضارية، وبصورة إجمالية هناك ثلاثة اتجاهات في تحديد فاعلية الإنسان إزاء الحدث التاريخي، فالأول من يعتقد سلبية الإنسان تجاه الحدث وعدم قدرته على التفاعل والتأثير مع الحدث وإنما هو من صنع الله وتخطيطه وليس للإنسان أي دور أو تأثير وهو ما يصطلح عليه بالحتمية التاريخية أو الجبرية أو العناية الإلهية وفق المفهوم الديني، ومن المناسب أنْ نشير هنا إلى ما ذكره الفيلسوف الإنكليزي (ألبان ويد جري) «أنَّ استخدام فيكو (جامباتستا ڤيكو(١٦٦٨ -١٧٤٤) مؤرخ إيطالي، مؤسس نظرية التفسير الدوري للتاريخ) مصطلح العناية على وجهين يماثلان ما أشار إليه علم اللاهوت حيث جعلها عناية عامة وعناية خاصة، فالعناية العامة تعمل في التاريخ مستقرة متأصلة في جميع عمليات الطبيعة ومسيطرة على جميع الشعوب، والتاريخ في رأيه لا يخلقهُ الناس وحدهم؛ وذلك لأنَّ العناية تقتاد احياناً نحو غايات أخرى تلك التي رمى إليها الرجال»(التاريخ وكيف يفسرونه، ج٢: ص ٢٥)، بينما يشير هيجل إلى «أنَّ التاريخ يتحول إلى عملية يجري بموجب العناية الإلهية، حيث كل حدث من الاحداث التاريخية كانت إرادة الله قد تنبأت به مسبقاً....»(غليزيرمان، ١٩٨٣م، قوانين التطور الاجتماعي: ١٢٧)، وقريباً من هذه النظرية يذهب الكاتب والفيلسوف السياسي الفرنسي جاك بينين بوسيؤيه (١٦٢٧ م - ١٧٠٤ م) بقوله إنَّ «الله هو الذي يعين مصائر العالم وهو الذي يهتم بمصير البشرية»(غليزيرمان، ١٩٨٣م، قوانين التطور الاجتماعي، ١٢٧).

على حين يرى مكيافللي أنَّ هناك اتجاهاً فلسفياً آخر يرى للصدفة أو للحظ أثراً كبيراً في تحريك وتوجيه الأحداث وتحديد مسارها وخارطتها، وفيما يخص وجهة نظره فهو يميل إلى هذا الاتجاه مع بعض الإضافات قائلاً: «أعرف أنَّ العديد من الكتاب يرى أنَّ الحظ يسيطر على أحداث هذا العالم، وأنَّ البشر باستطاعته أنْ يغيرها أيّاً كانت، ولذلك فإنَّ كثرة التعب في الحياة غير مفيدة، لنذر الصدفة تحكم الأمور، وهذا الرأي يجد

تأييداً كبيراً في أيامنا هذه بسبب ما يحدث من تغييرات كبيرة وأحداث إنسانية، لكني حين أفكر فيها أميل اليها أحياناً إلى الانضمام إلى هذا الرأي إلى حد ما، لكن وحتى لا نقضي على إرادتنا قضاء تاماً، أرى أنه من الاصوب أنْ نعتبر أنَّ الحظ يحكم نصف أعمالنا، ويترك لنا النصف الآخر تقريباً» (مكيافللي، الأمير، ٢٠٠٤ م: ١١٩).

وفيما يخص النظرية الثانية فهي تشير إلى حرية الإنسان المطلقة في صناعة الحدث بمعزل عن تأثير الدور الإلهي وخروجاً عن سلطته بشكل كامل، ويصطلح على هذه النظرية بالتفويض ومغزى فلسفة هذه النظرية أنَّ أفعال الإنسان مفوضة إليه مخلوقة له، لا علاقة لها بالله سبحانه وتعالى سوى أنّهُ أقدر العبد على العمل، وبموجب تلك النظرية فإنَّ إرادة ومشيئة البشرية متعلقة بأفعالهم وحركتهم التاريخية وخارجة عن إرادة الله وسلطته، وأنَّ كلتا النظريتين الجبرية والتفويضية لهما آراؤهما واطروحتهما وأنصارهما (برغش، الجبرية في الفكر العراقي القديم: ٣٤٥-٣٤٧؛ السبحاني، ١٤١٨هـ، لب الاثر في الجبر والقدر: ١٠-١٢٣؛ الحيدري، ٢٠١٤م، الانسان بين الجبر والتفويض: ١٠-١٧٧؛ روزنتال، الموسوعة الفلسفية: ٦٧: ١٠٦).

في حين تؤسس النظرية أو الاتجاه الثالث إلى فلسفة مغايرة نوع ما عن ما سبق الإشارة إليه إذ نجد بعض الفلسفات والاطروحات تعطي مساحة من الحرية المطلقة للإنسان وتمنحه دوراً كبيراً ومفصلياً في صناعة الأحداث ورسمها وتحديد وجهتها وتقرير مصيرها، وتتطرف إلى الحد الذي تهمل فيه بقية المؤثرات سواء الداخلية أم الخارجية أم تعطيه نسبة محددة وضئيلة على حين يرفض بعض الفلاسفة هذه النظرية كونها تسلب العوامل والمؤثرات الأخرى وتتجاهلها وتمنح الفرد المسؤولية الكاملة في صناعة الحدث، ومن أبرز تلك النظريات هي نظرية البطل أو البطولة أو الرجل العظيم أو البارز أو الشجاع وغيرها من التسميات التي تصبُّ في الموضوع نفسه، (لتفاصيل أكثر عن المصطلحات التي أطلقت عن البطل، ينظر، كارليل، ١٩٣٠م، الأبطال: ١-٢؛ بليخانوف، دور الفرد في التاريخ: ١؛ ياسبرس، عظمة الفلسفة، ٤٣ـ٤٤؛ ديورانت، ٢٠٢٠م، دروس التاريخ: ٥٣؛ ساسمنتن، ١٩٩٣م، العبقرية: ١٣ـ١٥)، وقد لعبت تلك النظرية أثراً كبيراً في تفسير وتوجيه الأحداث التاريخية واستخلاص نتائجها وبيان معطياتها ورسم فلسفتها، ومن أبرز من تبنى فلسفة هذه النظرية بشكلها الجديد وفلسفتها التاريخية وتقرير أصولها ورؤيتها كنظرية فاعلة ومؤثرة في سير الأحداث وتخطيطها هو المؤرخ والفيلسوف الاسكتلندي توماس كارليل (Thomas Carlyle)،(١٧٩٥ -١٨٨١م) في كتابه الأبطال، والذي أسس من خلاله نظريته في حركة التاريخ والتي يختزلها بحركة العظماء دون غيرهم قائلاً: «إنَّ التاريخ العام ـ تاريخ ما أحدث الانسان في هذا العالم ـ إنَّما هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء، فهم الائمة وهم المكيفون للأمور وهم الأسوة والقدوة وهم المبدعون لكل ما وفق إليه أهل الدنيا وكل ما بلغه العالم، وكل ما تراه قائماً في هذا الوجود كاملاً متقناً فاعلم أنَّهُ نتيجة أفكار أولئك... أن العظماء الذين اصطفاهم الله وأرسلهم إلى الناس ليؤدي كل ما ناطته به القدرة الإلهية من الخير فروح تاريخ العالم إنَّما هو تاريخ أولئك

الفحول...» (كارليل، ١٩٣٠م، الأبطال: ١) كما يعتقد كارليل أنَّ تاريخ الابطال إنَّما هو تاريخ للبشرية بقوله:«ويقيني أنَّ نظرة في تواريخ الأبطال. ..جديرة أن تكون بمثابة نظرة في مخ تاريخ البشر وصميم لبابه» (كارليل، ١٩٣٠م، الأبطال: ٢)، فيما نوه إلى مسألة مهمة وهي أثر البطل في الفعل التاريخي ومعتبراً نكرانه من الاباطيل ولاسيما أنَّ فكرة إهمال الدور البطولي كانت سائدة في عصره آنذاك قائلاً: «في هذا العصر رأي باطل هو أنكار وجود الأبطال بل كراهة وجود الأبطال...»(كارليل، ١٩٣٠م، الأبطال: ١٦).

ويبحث كارليل بشكل علمي تساؤلاً جوهرياً وهو هل الحدث يصنع البطل؟ أم البطل هو من يصنع الحدث؟ ويحركه ويرسم خطوط سيره واتجاهاته، ويتوصل إلى نظرية مغزاها أنَّ البطل هو من يصنع الحدث ويقرره ونَصَّ ذلك «إنما ينسب إليه من العظمة هو مستعار من أحوال عصره وظروف وقته فالوقت هو الذي أحدثه وشهره هو ابن الوقت، وكل ما جرى على يديه هو من فعل الوقت لا فعله أيقول النقاد الوقت هو الذي أحدث ذاكم الرجل وأسفاه لقد طالما صاحت الأوقات تنادي أين الابطال ولا بطل أين العظيم ولا عظيم تصرخ الاوقات بالفتى فيذهب نداؤها صيحة في وادٍ ونفخة في رماد، وما ذاك إلَّا أنَّ البطل والفتى لم يكن وقت النداء موجوداً ولم يكن الله قد أرسله رحمة للعالم» (الأبطال: ١٦).

وفي ضوء هذا الاتجاه نستنتج أنَّ واقعة الطف قد صنعها وحركها الإمام الحسين عليه السلام ولولاه لكان لها وجه آخر مع بعض الشخصيات الأخرى التي كان لها أثر كبير فيها من قبيل السيدة زينب عليها السلام أو أبي الفضل العباس عليه السلام وبصورة عامة فان بعض الشخصيات قد رسمت ملامح وخطوط سير واقعة الطف وحددت وجهتها التاريخية وفعلت نتائجها سواء على المدى القريب أو البعيد.

وفي ضوء تلك الفلسفة فقد أسس لتلك النظرية مع بعض التغييرات الجزئية المفكر والمنظر الماركسي الروسي جورجي بليخانوف ((١٨٥٦ – ١٩١٨ في بيانه أهمية الفرد في صناعة وتقرير الاحداث وتخطيطها مع توفر بعض المؤثرات الداخلية أو الخارجية، وقد طرح نظريته تلك في كتابه الشهير (دور الفرد في التاريخ) والذي يؤكد فيه بأنَّ «الدور الذي أعطيناه للرجل البارز أو البطل أو العظيم لا يكتفي برجال الفكر أو الفعل فحسب، وأنْ يكون من غير المستبعد أنْ يكون أبطال الفكر في الوقت نفسه أبطال الفعل وصانعي أحداث، بل ينصرف بصورة رئيسة على البطل صانع الأحداث أي الذي يترك طابع شخصيته الإيجابي على التاريخ، وهو طابع يظل ظاهراً للعيان بعد أنْ يختفي صاحبه عن مسرح الأحداث» (بليخانوف، دور الفرد في التاريخ: ٣٦)، ويشير هنا أنَّ العبقرية أو البطولية تقاس على ضوء درجة وعي البطل وفهمه للمجتمع بقوله :»إنَّ العبقرية شيء فريد ليس مقياس كمي، ومقياس عظمة البطل يكمن في درجة شعوره ووعيه لما دعي للقيام به. ..» (بليخانوف، دور الفرد في التاريخ: ٣٦).

ويطرح بليخانوف إشكالية تاريخية مهمة وقريبة من تساؤل كارليل آنفاً في فهم أثر الشخصيات البارزة وتحديد جوهر دورها وفعاليتها في الحدث هل هو دور

أساسي جوهري؟ أم ثانوي هامشي؟ بقوله: «هل السير للفعل التاريخي والتطور الاجتماعي هو حرفياً خط سير حتمي لا مناص منه أم أنَّهُ ليس كذلك؟ وإذا كان كذلك فإن كلَّ زعامة قامت أو ستقوم هي عنصر ثانوي مساعد في تقرير الطابع الاساسي والتاريخي في الماضي والحاضر والمستقبل، وإذا لم يكن حتمياً فإنّ الأمر يكاد يسأل ذاته إلى أي مدى تكون فيه سجية زعامة معينة مسؤولة سبباً ومسؤولة أدبياً عن هذا الوضع أو ذاك أو إلى أية درجة وفي أية أنواع من الحالات يكون من المشروع القول إنَّ الزعامة تقرر الاتجاهات التاريخية التي تواجهها وأي نوع من الحالات يكون من المشروع فيه القول إنهَّا لا تفعل ذلك أي نوع يمكن قصره عليها، على وجه التفرد والامتياز وأي نوع يمكن أنْ يتم على يد زعماء أو أفراد آخرين» (بليخانوف، دور الفرد في التاريخ: ٣٥).

وبعد قراءة متمعنة للنص نتفق مع ما ذَهب إليه بليخانوف من أهمية دور الشخصيات في رسم وتخطيط الاحداث وتحديد وجهتها؛ كون الثورة الحسينية قد رسم مفاصلها وخيوط تحركها الإمام الحسين عليه السلام وهو الشخصية الرئيسة في سيرها وتقرير مصيرها وتحديد اتجاهها التاريخي، وفق المعطيات الاتية :-

١. تبدأ واقعة الطف من البيعة للسلطة الحاكمة وكيف إن الإمام الحسين عليه السلام قد رفض البيعة بشكل نهائي البيعة ليزيد بن معاوية قائلاً :»يزيد رجل فاسق معلن الفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود ويبغض بقية آل الرسول ! لا والله لا يكون ذلك أبدا» (ابن أعثم، ١٩٩١م، الفتوح، ج١٢:٥)

وفي رواية أخرى فيها علل امتناعه عن البيعة «رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله» (ابن طاووس، ١٩٩٦م، اللهوف:١٧)، وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى رفضه البيعة للسلطة الحاكمة رفضاً قاطعاً مع بيانه مبررات ذلك حيث إنَّهُ يتقاطع منهجياً وعقائدياً واجتماعياً وسياسياً مع الدولة آنذاك وأيديولوجيتها بصورة عامة، ولا شك أن العلم الإلهي على علم بهذه التفاصيل والأحداث، وأنَّ رفض الحسين عليه السلام هذا نابع من إرادته وعقيدته وحريته في تلك المواقف والاختبارات، ومما لا شك فيه أنَّ هذا الرفض سيولد غضب للسلطة ويشكل خطراً عليها وبالتالي وقوع الثورة أو الاصطدام أمر لابد منه بأيَّ شكل من الأشكال لذلك توصل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو الائمة الآخرون وعن طريق العلم اللدني، -هو الذي يصطلح عليه في النصوص القرآنية والروائية بالعلم الإرثي والوراثي، ويحصل من غير واسطة وإنّما يكون من الله مباشرةً، وأخرى مع الواسطة - (الحيدري، ٢٠٠٨م، علم الإمام: ٢١٥) لديهم إلى بعض الأمور والأحداث الخاصة بواقعة الطف.

٢. رفض الإمام عليه السلام كُلَّ المفاوضات والمساومات التي طرحتها الدولة الأموية آنذاك والتي في حال لو قبلها الإمام عليه السلام لحلت المشكلة من أصلها وتغيير مسار التاريخ ومن المحتمل لم تحصل واقعة الطف أساساً.

٣. إنَّ الأهداف والغايات التي رفعها الإمام كشعار جوهري لنهضته منها الإصلاح الشامل في المجتمع قد أنتجت تأثيرات كبيرة في حينها ومستقبلاً والتي لايزال مفعولها يسري لهذه اللحظة.

ويمكن ربط ما سبق مع ما تقولهُ بليخانوف في فلسفة الأحداث وأثر الشخصية البطولية فيها، من حيث دوره كرجل أحداث أو كصانع لها قائلاً: «هل كان خليقاً بالشيء الذي نعتبره هاماً أنّ يحدث على كل الأحوال مهما يكن نوع الفرد الذي يؤثر في الأحداث التي أدتّ الى ذلك الشيء؟ وهل من الصحيح إطلاقاً القول إنَّ أفرداً كان بصورة رئيسة مسؤولاً عن وقوع ذلك الحدث الهام أو عن عدم وقوعه؟ إن ذلك يقودنا إلى الفراق بين الرجل كرجل أحداث في التاريخ والرجل كصانع أحداث في التاريخ أي الفرق بين الرجل الذي يكون في وضع يؤثر في الاحداث وآخر يفضل طاقاته وملكاته وذكاءه الحاد وإرادته القوية وشخصيته يربط بنفسه الحدث ويرتبط به، وهذا التمييز يحاول إن يعدل في الحكم على الاعتقاد العام بأنَّ البطل هو عظيم فقط بسبب ما يفعل ولكن بفضل سجاياه وماهيته» (دور الفرد في التاريخ: ٣٧).

وفي ضوء هذه التساؤلات نحاول أنْ نجيب عنها من خلال محاولة جادة في ربط واقعة الطف كحادثة تاريخية وبين تلك التساؤلات الفلسفية المهمة :-

١.فيما يخص التساؤل هل كان خليقاً بالشيء الذي نعُدُّه مهماً أن يحدث على كل الأحوال مهما يكن نوع الفرد الذي يؤثر في الأحداث التي أدت إلى ذلك الشيء؟ وللإجابة عنه نقول إنَّ الواقعة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالإمام الحسين عليه السلام ولا يمكن أنْ تحصل أو تحدث بدونه بما حدثت بفصولها ومأساتها وحركتها كون الإمام عليه السلام كون العديد من الأخبار المستقبلية قد تنبأت بالحادثة وتفاصيلها وأنَّ الحسين قائدها، فضلاً عن طريقة الاستشهاد وبقية أحداثها الأخرى فمن هذه الناحية نقول إنَّ اختيار الله للإمام عليه السلام ليكون قائداً للثورة آنذاك أو بعبارة أدق للمشروع النهضوي ضد الاستبداد جاء وفق القابليات والمؤهلات والاستجابات التي كان يحملها عليه السلام وهي بلا شكَّ كانت معلومة بعلم الله سبحانه وتعالى، وهنا قد يطرح إشكالٌ مفاده بأنَّه يفهم من خلال هذا الكلام أنَّ المسألة حتمية وليس للحسين عليه السلام الاختيار أو التحرك الطبيعي إزاء الاحداث:

وهذا الإشكال مردود من عدة جهات :-

أ. إنَّ الإمام علم بالحادثة بصورة إجمالية مع بعض التفاصيل لجوانب معينة دون الجزئيات الدقيقة ولاسيما فيما يتعلق بالمراسلات والمفاوضات والجانب السياسي والمجتمعي بصورة عامة، أضف إلى ردة فعل الدولة الأموية سواء السياسية أم الاجتماعية أم العسكرية تجاه الثورة ورجالاتها ونتائجها نجد الإمام عليه السلام يواجه جميع تلك المستجدات بكل حزم وقوة ومقدرة دون تردد أو تراجع بل وظف لها جميع الإمكانيات المتوفرة لديه على الرغم من وجود الفارق العسكري الكبير بين الجهتين.

ب. إنَّ السبب الاحتمالي وراء اختيار الإمام الحسين عليه السلام هو لعلم الله بالقدرة الكبيرة التي يتحلى بها الإمام وأن مكانة الحدث وخطورته توازي شخصية الإمام

من جهة وتناسبه سواء بالمقدرة أم عظم المأساة أم مواجهته التحديات والمستجدات وفق المؤهلات التي يحملها الإمام(عليه السلام) وبإرادته واختياره مع أنَّهُ(عليه السلام) كان يعلم بمقتله وفق اخبارية الرسول(صلى الله عليه وآله) له قائلاً «يا حسين أخرج فإنَّ الله قد شاء إن يراك قتيلاً» (ابن طاووس، ١٩٩٦م، اللهوف: ٤٠)، ولم يكن التقدير الإلهي للحسين(عليه السلام) عامل تراجع أو استسلام بقدر ما تعامل الإمام مع الظروف الطبيعة والمتغيرات السياسية والعسكرية.

ج. مما يؤيد النقطة (ب) أنَّ الإمام الحسين(عليه السلام) نجح في مواجهة الأحداث وجسامتها سواء على الصعيد النفسي أم العقائدي بدلالة ما قاله(عليه السلام) في يوم المعركة «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة» (المفيد، ١٩٩٣م، الارشاد، ج٢: ٩٦) فهنا تسليم مطلق لله في كل الحالات والظروف وهو يشير إلى صلابة الإيمان وثباته وقوة اليقين وشدة البصيرة، وهذا يتوافق مع فلسفة البطولة وصفاتها بوصف هؤلاء الابطال من الصفوة؛ لأنهم يجمعون مزايا وخصائص عديدة لا توجد عند الناس الاعتياديين؛ كونهم شخصيات ممتازة لها من القوة التأثير ورباطة الجأش ومن صلابة العزيمة ومن الاقدام على المخاطرة، مما يجعلها قدوة ومثالاً للمحاكاة والتقليد، أنهم قوة كامنة في حضورهم ووجودهم أمام الناس فهم يقدمون المثال فقط ويعطون نمطاً في الحياة والسلوك(ينظر، الميالي، ٢٠١٣م، مفهوم البطولة في الفلسفة المعاصرة: ٨٩-٩٠).

د. ومن اوضح المواقف التي تدل على استيعاب الإمام(عليه السلام) خطورة الموقف وفي الوقت نفسه شجاعة منقطعة النظير وهو السماح لأصحابه وأنصاره بتركه وحيداً لأداء الدور القيادي والريادي ومواجهة التحديات حيث هو على استعداد تام لتقبل أسوأ المواقف وأصعبها بقوله «وأنتم في حل من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، وتفرقوا في سواده، فإنَّ القوم إنما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»(الصدوق، ١٤١٧هـ، الامالي: ٢٢٠) ويستشف من هذه المواقف الحرية الكاملة للإمام(عليه السلام) في قراراته وحركاته العسكرية والسياسية وهي من صفات القائد المؤثر في حركة التاريخ وتغيير مجراه.

٢. وعند مناقشتنا بليخانوف في تحديد العلاقة الجدلية بين الفعل والحدث وأيهما أهم من الآخر بقوله: «يكون الوضع أحياناً أهم من الرجل كما يكون الرجل أحياناً أهم من الوضع وذلك تبعاً لما يتاح من حرية وذلك تزداد أهميته أو تتضاءل» (بليخانوف، دور الفرد في التاريخ: ٣٩). ويمكن لنا ربط هذه العلاقة الجدلية بين حدث الطف وأثر الإمام الحسين فيها وفي رسم حركتها وتقرير مصيرها، فإنَّ المجريات والوقائع تشير إلى أنَّ الإمام الحسين(عليه السلام) كان أهم من الحدث نفسه، وكون واقعة الطف ارتبطت ارتباطا وثيقاً بالإمام إذ لولاهُ ما حدثت واقعة الطف اصلاً بفصولها التي رواها التاريخ، وهذا ما بينته الاخبار الغيبية والتي أشرنا إليها آنفاً، إضافة إلى أنَّ الإمام الحسين(عليه السلام) قد اختارته العناية الإلهية بوصفه إماماً معصوماً لأداء هذه المهمة وفق صفات ومؤهلات وجدت فيه شخصياً

بينما الحدث هو من صنعه ورتبه وحركه، وعليه يمكن لنا أنْ نقول إنَّ حركة الإمام الحسين وتخطيطه لحدث الثورة أو الواقعة أهم منه ولولاه لكان للحدث وجه آخر وصفة أخرى.

وخلاصة القول إنَّ العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام وبين الحدث – واقعة الطف– علاقة مصيرية وجوهرية ويأتي دوره فيها كصانع للحدث ومحرك أساسي لأحداثه ومفاصله ؛ وذلك لقدرته على تغيير مجرى الأحداث من خلال تخطيطه وقراراته ومواقفه ولولا ذلك كله لما حدثت واقعة الطف بتفاصيلها وأحداثها التي حدثت فيها والشكل الذي رسمت عليه، ولاسيما إنَّ الغاية التي كانت تستهدفها الثورة الحسينية هي رضا الله سبحانه وتعالى من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح المجتمع وتنمية الانسان بصورة عامة من الناحية الاخلاقية والاجتماعية وحتى السياسية على طول التاريخ وأن تكون الثورة نبراساً لجميع الاحرار، وهذا هو سر فلسفة خلود الثورة على مَرّ العصور والأزمان، وهذه فلسفة الخلود التي اتسمت بها الثورة هي من صفات الأبطال الحقيقين ويمكن تدعيم ذلك بما أشار إليه بليخانوف بقوله: «الغاية التي تفترض في الانسان أن يخدمها هي غاية تستنبط وتؤول من الغاية التي يحددها ويحققها لأن البشر لا يصنعون التاريخ إلّا إذا كانت لهم أغراض وغايات» (بليخانوف، دور الفرد في التاريخ: ٤٠).

وعلى هذا المنوال فقد أعاد بناء هذه النظرية ووسع فلسفتها ورؤيتها ورسمها بملامح اسطورية ميثولوجية هو الميثولوجي الامريكي جوزيف جون كامبل (١٩٠٤ – ١٩٨٧م) في كتابه المعروف (البطل بألف وجه) وهو يشير في أطروحته تلك عن فلسفته في حركة التاريخ وأنَّ تغيير مجرى التاريخ يتم من خلال حركة الابطال ومخططاتهم وفاعليتهم في المجتمعات بقوله: «يجب الآن أنْ تدفع الدورة الكونية إلى الأمام من قبل الابطال الذين يستحوذون في قليل أو كثير على جوهر إنساني، والذين من خلالهم يتحقق مصير العالم»(كامبل، ٢٠٠٣م، البطل بألف وجه: ٣١٩).

ويرى كامبل أهمية البطولة في معالجة وتقييم وتقويم الأحداث ويدعو إلى ضرورة الاستفادة من تجارب الأبطال فيما مضى من الزمن وتفعيلها في المجتمع قائلاً:«لقد كان المعلمون القدامى على بينة من أمرهم في كل ما تحدثوا عنه، وحالما نتعلم قراءة لغتهم الرمزية، تبدو المسألة لا تحتاج إلاَّ إلى موهبة الدارس لكي تصبح تعاليمهم قابلة للإدراك...» (كامبل ٢٠٠٣م، البطل:١٣) ويعلل فلسفة ازدهار الأساطير كونها مما صنعه الإنسان بيده وأبدعه بعقله قائلاً: «لقد أزدهرت أساطير البشرية وألهمت الإنسان على مدار تطورها كل ما ابدع حتى الآن على مستوى الفاعلية الإنسانية سواء منها الجسدية والروحية... ويمكن القول دونما مبالغة إنَّ الأساطير تمثل الرافد السري الذي يتدفق عبره طاقات الكون التي لا تستنفد لتصب في ظاهرة الثقافة البشرية...» (كامبل، ٢٠٠٣م، البطل: ١٧)، وتتركز فلسفة كامبل في ضرورة تفعيل الفكر الأسطوري للإفادة من تجاربه وسير أحداثه قائلاً «أن منطق ابطال الاساطير إضافة إلى مجريات أحداثها إنَّما لا تزال حية ومستمرة في عصرنا الحاضر»(كامبل، ٢٠٠٣م، البطل: ١٨).

ومما لا شك فيه إنَّ نظرية الفرد أو البطل لم تؤطر بشكل نظرية متكاملة لها قواعدها وأصولها بشكل مفاجئ أو طارئ، وإنما لها جذورها واشاراتها البسيطة قبل ذلك، فقد ورد في التراث الإسلامي وفي مختلف عصوره كتابات تلمح إلى هذه الفلسفة، إذ أشارت العديد من عناوين المصنفات والمؤلفات على أثر الأنبياء المرسلين أو الملوك السياسيين في صناعة الأحداث وتحريكها، فعلى سبيل المثال فيما يخص حركة الانبياء فقد الف الفقيه والمحدث ابن فضال أبو علي الحسن بن علي(ت٢٢٤هـ)، كتاباً في هذا المضمون وهو(الانبياء والمبتدأ) (ابن النديم، الفهرست: ٢٧٨)، أمَّا ما كتبه المؤرخ محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) تحت عنوان (تاريخ الرسل والملوك) وما هو إلَّا مزج بين حركة الأنبياء والسلطة الحاكمة المتمثلة بالملوك وأثرهم في تحريك الأحداث ورسم معالمها.

وفيما يخص أثر السلطة الحاكمة وعلى مختلف فتراتها الزمنية في المجتمع فقد كانت محط أنظار المؤلفين والمؤرخين ممن سلطوا الأضواء على نتاجاتهم بوصفها ذات تأثير على حركة المجتمعات ورسم سياستها، وكان من أبرزها ما كتبه السرخسي تحت عنوان كتاب أدب الملوك، والفارابي آدب الملوك والثعالبي أخلاق الملوك، وصنف الشاعر عبد الله بن المعتز كتاباً عنوانه أشعار الملوك (ابن النديم، الفهرست: ١٢٩، ١٣٠، ١٦٦، ٣٢٦)، وكتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، ومن المرجح أنَّ تدوين تاريخ هؤلاء الملوك هو إيمان من المؤرخين والمؤلفين بدورهم في المجتمع وتفعيلهم حركة التاريخ بصورة عامة. وبشكل إجمالي أنَّ هذا النوع من الكتابة التاريخية يدخل ضمن فلسفة الفرد أو البطل أو الرجل العظيم واثرهم في حركة التاريخ وتحويل مساره وتغيير مجراه، وإنْ لم تصل تلك الإشارات وفلسفة مؤلفيها وآرائهم إلى درجة النظرية المتكاملة والفاعلة كما نَظَّرَ لها ووضع أسسها الفلاسفة الذين أشرنا إليهم آنفاً، ولكن تبقى هذه الإشارات عبارة عن كتابات مبكرة لهذه النظرية أو بذرات أولية إنْ صح التعبير.

أمَّا الرؤية القرآنية فهي تطرح نظرية معتدلة بين الاتجاهين أو النظريتين المذكورتين آنفاً في تفسيرها للحدث التاريخي فهي من جهة لا تسلب حرية البشرية وإرادتها في صناعة الحدث ومن جهة أخرى لا تخرجها عن السيطرة الإلهية في التأثير على الحدث وصناعته وإنما تكون ضمن الدائرة الإلهية بحرية الاختيار والحركة، وعليه تكون الفلسفة القرآنية في تعليل الأحداث تتسم بالوسطية والاعتدالية في منح الحرية للإنسان في اختياراته وقراراته وتأثيره على الاحداث، ومن أبرز النصوص القرآنية التي أشارت إلى هذه الفلسفة هي: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (البقرة: ١٩٥) أو قوله تعالى ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (الانسان :٣) ومنح الانسان القدرة في تشخيص الأشياء وتميزها كي يكون قادراً على حسن الاختيار لقوله تعالى: ﴿**الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾، (القيامة: ١٤) ومنحت حرية اختيار المعتقد والتي على ضوئها يحدد حركته التاريخية ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ **(الكهف: ٢٩)**.

وفي ضوء الرؤية القرآنية تكون الحركة التاريخية طبيعية – باستثناء الحالات الإعجازية التي يكون فيها تدخل إلهي مباشر– وتحدث وفق النواميس التاريخية المحددة مسبقاً والاختبارات والامتحانات الالهية، والهدف من ذلك هو عدم الخروج عن السنن التاريخية التي تحكم المجتمعات ولكي ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩) لذلك وجوب القتال وفق السنن من مستلزمات الحركة التاريخية الطبيعية لقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة :١٩٣).

ومن مقتضيات الحكمة الإلهية أنَّ لها أهدافاً وغايات عديدة في رسم حرية الحركة التاريخية إذ من خلال ذلك تحدث الاختبارات والامتحانات للبشرية وفق سنن تاريخية فاعلة في المجتمع، ومن تطبيقات ذلك الاختبارات النفسية والاقتصادية والمالية لقوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة: ١٥٥) في حين كان للاختبارات العسكرية نصيب من ذلك لقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١)، وأحياناً يكون مجمل ما على الأرض من موارد وإمكانيات وطاقات محل اختبار للبشرية؛ لتحديد الأفضلية في العمل والحركة ونَصُّ ذلك ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧).

المبحث الثاني

إشكالات أثر الفرد في صناعة الحدث التاريخي

وبعد بيان أبرز الآراء الفلسفية والنظريات التي تناولت فلسفة الفرد في صناعة الحدث، وكيف أنَّ الفلاسفة رَجَّحُوا نظرية الفرد أو البطل في بلورة الأحداث ورسمها وإضفاء الطابع الشخصي عليها، مع بيان فلسفة الرؤية القرآنية في تحليل الحدث التاريخي وبيان إطاره ومعطياته، نأتي الآن لدراسة بعض الإشكالات والتساؤلات المهمة التي من الممكن أنْ تطرح في ساحة البحث والتحقيق التاريخي عن واقعة الطف ودور الإمام الحسين عليه السلام في رسم معالمها وخطوطها وأهميتها.

ووفقاً لذلك تحاول الدراسة أنْ تطرح بعضاً من التساؤلات أو الإشكالات المهمة ألا وهي كيف يمكننا أنْ نفسر حركة الثورة الحسينية؟ وعلى أي نظرية بنت حركتها ومسارها؟ ولماذا؟ هل النظرية الجبرية هي من رسمت حركة الثورة الحسينية؟ أم النظرية التفويضية هي من حددت مسارها؟ أم النظرية القرآنية الوسطية إنْ صح التعبير هي المعتمدة في تخطيط الثورة ورسم مستقبلها وانطلاقها وحدوثها.

للإجابة عن تلك التساؤلات فيه نوع من التعقيد؛ كون هناك العديد من الإشكالات التي تحتاج إلى توضيح وتبيين وتعريف، ومن خلال تفكيك تلك التساؤلات، يتضح لنا جلياً النظرية والمسار أو المسلك الذي تحركت عليها الثورة الحسينية ورسمت تخطيطها وفلسفتها عليه.

ومن أعقد الإشكالات التي من الممكن أنْ تقرأ

قراءة سطحية وتؤول على أنَّها تقع ضمن النظرية الجبرية، وأنَّ الثورة الحسينية قد صنعها وخطط لها وحدد مسارها الله سبحانه وتعالى، وليس للإمام الحسين عليه السلام أو للشخصيات المشاركة فيها أثر أو حركة تاريخية، وأنَّهم مسلوبو الإرادة؛ كون الثورة مخططاً لها مسبقاً، وما على شخصيات الثورة وقياداتها إلاَّ تنفيذ ما هو مخطط لهم مسبقاً، وبالتالي الثورة لم تكن ضمن الحركة التاريخية البشرية وخاضعة للسنن التاريخية وإنما واقعة تحت الإرادة الإلهة تخطيطاً وترتيباً وتنفيذاً. ومن أبرز النصوص التي يستدل فيها على هذه النظرية ويعتقد فيها :-

١. قول زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم سلمة للإمام الحسين عليه السلام حينما أراد التوجه صوب العراق «لا تخرج إلى العراق فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتل ابني الحسين بـ أرض العراق وعندي تربة دفعها إلي في قارورة. فقال: والله إني مقتول كذلك، وإنْ لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضا، وإن أحببت أنْ أريك مضجعي ومصرع أصحابي. ثم مسح بيده على وجهها، ففسح الله في بصرها حتى أراها ذلك كله، وأخذ تربة فأعطاها من تلك التربة أيضا في قارورة أخرى، وقال عليه السلام: فإذا فاضتا دما، فاعلمي أني قد قتلت. فقالت أم سلمة: فلما كان يوم عاشوراء نظرت إلى القارورتين بعد الظهر فإذا هما قد فاضتا دما» (قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ، الخرائج والجرائح، ج١: ٢٥٤).

٢. ما ورد عن أم سلمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطجع ذات يوم للنوم «فاستيقظ وهو خائر النفس فاضطجع فرقد فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها فقلت ما هذه التربة يا رسول الله قال أخبرني جبريل أنَّ هذا يقتل بأرض العراق لحسين فقلت لجبريل أرني تربة الأرض التي يقتل فيها فهذه تربتها» (الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٣: ٣٠٨).

٣. ما ورد عن الصحابي الجليل ميثم التمار: «والله لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر يمضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإنَّ ذلك لكائن، قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كل شيء» (الصدوق، ١٤١٧هـ، الأمالي: ١٨٩).

٤. وقد خاطب الإمام الحسين عليه السلام أمه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قائلاً «يا أماه قد شاء الله عَزَّ وجلَّ أنْ يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أنْ يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا ولا معينا»(المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤: ٣٣١).

٥. ويحدد الإمام عليه السلام بأنَّ أحد مصادره في بيان مصير شخصيات الثورة هو العلم الإلهي الذي منح له بوصفه إماماً معصوماً منصوصاً عليه، ونجد ذلك فيما ذكره عبد الله بن عباس قائلاً «لقيت

الحسين بن علي وهو يخرج إلى العراق، فقلت له: يا ابن رسول الله، لا تخرج قال: فقال لي: يا بن عباس، أمَّا علمت أنَّ مَنِيَّتِي من هناك، وأنَّ مصارع أصحابي هناك؟ ! فقلت له: فأنى لك ذلك؟ قال: بِسِرّ سُرَّ لي، وعلم أعطيته» (الطبري -الشيعي-، ١٩٩٢م، دلائل الإمامة: ١٨٢).، وقد علقت إحدى الباحثات على هذه الرواية بأنَّ المصدرية الإخبارية لهذه الحادثة هو مصدر سماوي وفق الرؤية الفكرية والواقع الحديثي التطبيقي، (سندس الحسن، ٢٠٢٠م، الثورة الحسينية في الرواية السلفية: ٣٨).

٦. وتتضح فلسفة القضاء والقدر في التحديد الدقيق لزمان الحادثة ومكانها «حتى بلغ كربلاء وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم فلما وصلها قال ما أسم هذه الأرض فقيل كربلاء فقال عليه السلام اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء ثم قال هذا موضع كرب وبلاء انزلوا هاهنا محط رحالنا ومسفك دمائنا وهنا محل قبورنا بهذا حدثني جدي رسول الله ﷺ فنزلوا جميعا»(ابن طاووس، ١٩٩٦م، اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٩).

ولِحَلِّ هذه الروايات والأخبار الإشكالية يتضح من خلال طرح بعض التوضيحات والتفسيرات الاحتمالية المهمة في هذا الشأن :-

أ. أنَّ تخطيط واقعة الطف بدءاً من مرحلة المكاتبات التي حصلت بين وجهاء أهل الكوفة والإمام الحسين وحتى استشهاده عليه السلام وكانت تجري وفق السياقات التاريخية الطبيعية وطبقاً لنواميس حركة التاريخ وسننه دون تدخل غيبي.

ب. أنَّ الإشارات التي علم بها الإمام الحسين عليه السلام عن تفاصيل الثورة والتخطيط لها ونهايتها ونتائجها كانت عن طريق جَدِّهِ الرسول محمد ﷺ وهي بلا شك لا تتقاطع مع حرية التحرك والاختيار كونها في علم الله تحصل تلك الامور وبمشيئته وحرية الحركة التاريخية للإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وبإرادتهم.

ج. أن السرد التاريخي لجميع تفاصيل الواقعة لم يحصل بها تراجع من قبل الإمام الحسين عليه السلام

د. ويضاف إلى ذلك قرينة أخرى تفند تبني النظرية الجبرية هو الاستعانة بالموارد البشرية وزجها في المعركة وديمومتها لتحقيق الغلبة العسكرية في أرض المعركة، ونجد هذا واضحاً في حث القائد حبيب بن مظاهر الأسدي أحد قيادات المعسكر الحسيني بني قومه للاشتراك في الثورة بعد أنْ أخذ الإذن من الإمام الحسين عليه السلام لتلك الفكرة ونص ذلك «قال حبيب بن مظاهر للحسين: إن ها هنا حيا من بني أسد أعرابا ينزلون النهرين، وليس بيننا وبينهم إلاَّ روحة أفتأذن لي في إتيانهم ودعائهم؟ ! لعل الله أنْ يجربهم إليك نفعا أو يدفع عنك مكروها فأذن له في ذلك فأتاهم فقال لهم: إني أدعوكم إلى شرف الآخرة وفضلها وجسيم ثوابها أنا أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيكم فقد أصبح مظلوما، دعاه أهل الكوفة لينصروه، فلما أتاهم خذلوه وعدوا عليه ليقتلوه ! فخرج معه منهم سبعون فارساً وأتى عمر بن سعد رجل ممن هناك يقال له :جبلة بن عمرو فأخبره خبرهم ! فوجه عمر أزرق بن الحرث الصيداوي في جيل

فحالوا بينهم وبين الحسين ورجع حبيب بن مظهر إلى الحسين فأخبره الخبر فقال الحسين الحمد لله كثيرا» (البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣: ١٨٠).

هـ. وتعقيباً على ما تقدم فإنَّ إرادة الإمام الحسين عليه السلام كانت أقوى من النظريات وعقباتها ولاسيما الجبرية أنَّ صح التعبير، وقرينة ذلك ما أشار إليه الفيلسوف الفرنسي برجسون من قوله: «أننا لا نعتقد بالجبر في التاريخ فما من عقبة إلا وفي وسع الإرادات القوية تحطيمها أذا هي توفرت عليها في الوقت المناسب...» (برجسون، ١٩٧١م، منبعا الاخلاق والدين: ٣١٦) فلاشكّ من قدرة الإرادة الحسينية من تحطيم كل العقبات الزمانية والمكانية والبشرية لتحقيق الاصلاح الشامل.

و. لو دققنا في جغرافية الثورة منذ انطلاقها وحتى نهايتها للاحظنا أنَّ الجغرافية العسكرية لها كانت متحركة غير ثابتة خاضعة للنواميس الطبيعية وحركة الأحداث آنذاك، فمثلاً تحرك الإمام عليه السلام من مسقط رأسه مكة باتجاه المدينة المنورة وبعدها صوب العراق، فضلاً عن المحطات والمواطن الأخرى التي تخللت تلك التحركات، وما رافقها من تطورات للأحداث السياسية والأمنية في حينها (للوقوف على تفاصيل جغرافية الثورة الحسينية والمواطن والمدن التي قطعتها، ينظر، صاحب، ٢٠٠٧م، مسيرة الحسين عليه السلام: ص ٣٨-٥١، ٨٩-١٣١)، فنجد أنَّ تلك الجغرافية الشاسعة لمساحة الثورة أو الواقعة ومتغيراتها تدل على أنَّ التخطيط الحسيني يستند إلى معطيات أرض الواقع والمستجدات الطارئة آنذاك وليس تخطيطاً مسبقاً أو عشوائياً غير مدروس.

ز. ومن خلال بعض الروايات يلاحظ أنَّ العديد من الشخصيات ذات المكانة المتميزة سواء من الصحابة أم التابعين قد حاولوا إيقاف التحرك الحسيني أو بتعبير آخر تقديم النصيحة إليه أو المشورة السياسية أو العسكرية من قبيل ترك الثورة بشكل كامل أو تخويفه من أهل الكوفة أو طرح اليمن بديلاً عن العراق وغيرها من الاستشارات، لكن نجد الحسين عليه السلام يرفض كل تلك المعوقات بمعنى قبل التحدي والاستجابة للظروف السياسية آنذاك متحدياً الدولة الأموية بكل سطوتها وسيطرتها وإمكانياتها وهذا ما ينفي لنا النظرية الجبرية بل نجده عليه السلام قد تفاعل مع الحدث والظروف المستجدة آنذاك بشكل جيد وواقعي منطلقاً من إصلاح الأوضاع وتغييرها، مما يعني أنَّ الحركة تسير وفق معطيات أرض الواقع والتطورات الأمنية آنذاك.

ح. ويمكن لنا أنْ نستعين ببعض الروايات ذات الطابع الغيبي في نفي تبني الثورة الحسينية النظرية الجبرية ذات الطابع الغيبي، ومن هذه الروايات :-

١. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «أنزل الله تعالى النصر على الحسين عليه السلام حتى كان ما بين السماء والأرض ثم خير: النصر، أو لقاء الله، فاختار لقاء الله تعالى»(الكليني، الكافي، ج١: ٢٦٠).

٢. ذكر الإمام الصادق عليه السلام أنه «لما سار أبو عبد الله الحسين عليه السلام من المدينة تكنفه أفواج الملائكة المسومين والمردفين في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة فسلَّمُوا عليه وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه أنَّ الله قد أمدك بنا فقال لهم: الموعد حضرتي وبقعتي التي

استشهد بها في كربلاء فإذا وردتها فأتوني فقالوا يا حجة الله أنَّ الله أمرنا أنْ نسمع لك ونطيع فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك فقال لا سبيل لهم علي ولا يلقوني بكريهة حتى أصل إلى بقعتي وأتاه أفراخ من مؤمني الجن فقالوا له: يا مولانا نحن شيعتك وأنصارك مرنا بأمرك فإنْ أمرتنا نقتل كل عدو لك وأنت مكانك لكفيناك ذلك فجزاهم خيرا وقال لهم: أما قرأتم كتاب الله المنزل على نبيه المرسل قوله تعالى: (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) فإذا أقمت مكاني فبماذا يمتحن الله هذا الخلق»(الخصيبي، ١٩٩١م، الهداية الكبرى: ٢٠٧). ويمكننا أنْ نستفيد من هذين النصين في طرح بعض الاحتمالات التفسيرية المهمة:-

الاحتمال الأول :- على الرغم من البعد الغيبي الذي يتضمنه النصان آنفا الذكر إلَّا أنَّه يستفاد منهما أن الإمام الحسين عليه السلام قد رفض المدد الغيبي؛ كونه لا يريد التدخل الإعجازي في ثورته وإنما خطط لها أنْ تسير وفق النواميس الطبيعية.

الاحتمال الثاني:- أراد الإمام الحسين عليه السلام أنْ يوصل رسالة مفادها بأنَّ ثورته وفق الحركة البشرية والمجتمعية وخاضعة للتغييرات الطبيعية، بعيداً عن الخوارق أو الإعجاز الغيبي، ولكي يثبت للبشرية وللأجيال القادمة القدرة على مواجهة التحديات السلطوية الاستبدادية مهما بلغت من قوة وسطوة وأنَّهُ يجب مواجهتها وفق الظروف الطبيعية المتاحة والإمكانيات المتوفرة.

الاحتمال الثالث :-فضلاً عن هذين الاحتمالين أعلاه فإن مغزى الروايتين قد أشارا إلى تفضيل الإمام الحسين عليه السلام اللقاء مع الله على تحقيق النصر لثورته بطريق غيبي، وهذا هو ما يتوافق مع جملة النصوص والإشارات التي كان الإمام الحسين (على السلام) على علم بها مسبقاً لذلك رفض المدد الغيبي وهو بهذا الرفض حقق عليه السلام أعلى درجات اليقين والإيمان والصبر.

وقد يُطرح إشكالٌ مهمٌ وجوهريٌّ في ضوء قدرة الفرد على صناعة الحدث ومقدار حريته في ذلك وقد ينعكس هذا الإشكال على أنَّ خروج الإمام الحسين عليه السلام ضد الدولة الأموية لا يتفق مع تحقيق النصر العسكري المادي وفق المعطيات والمؤشرات الأولية الظاهرية على أقل تقدير وأنَّ الإمام قد خرج مضطراً ومجبراً وفق الاخبار المستقبلية التي وصلت اليه ولا يمتلك حرية الاختيار في ذلك، وأنَّ حركته لم تؤثر على الحكم الأموي إطلاقاً، ولكن يمكن رَدُّ هذه الإشكالات من عدة جهات واحتمالات وقرائن منها :-

١. التحشيد الجماهيري للإمام الحسين عليه السلام والتعبئة التي كان يوظفها لحركته الثورية الاصلاحية ويستدل على ذلك ما ذكره الطبري من أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان يستنهض الناس على طول طريق مسيرته، ونصُّ ذلك «كان الحسين لا يمرُّ بأهل ماء إلَّا اتبعوه حتى انتهى إلى زبالة» وزبالة منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية، وزبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق، فيها حصن وجامع لبنى غاضرة من بني

أسد، (ينظر، ياقوت الحموي، ١٩٧٩م، معجم البلدان، ج٣: ١٢٩-، الطبري، ١٩٨٣م، تاريخ، ج٤: ٣٠٠)، ويشير هذا النص إلى حصول تفاعل جماهيري وشعبي مع الركب الحسيني بدلالة عبارة ما يمرُّ بأهل ماء بمعنى تجمع سكاني إلاَّ وتبعوه، ويكفي هنا أنَّ الإمام نجح في تهيئة الناس وتكتلهم معه ضد الدولة الأموية بغض النظر عن انسحابهم فيما بعد أو من عدمه، ومن المناسب هنا الإشارة إلى رأي أحد الباحثين وهو يميل إلى إنَّ فلسفة الثورة كانت قائمة على أساس منطق التغيير بالسبل الممكنة قائلاً: «كانت حركة الامام الحسين عليه السلام على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطق القادر على تغيير المنكر باليد واللسان العالم بشهادته في نهضته وقد أعدَّ عدته لتغيير المنكر. ..» (البدري، ٢٠١١م، النهضة الحسينية: ٨).

١. وفيما يخص أنَّ حركة الإمام الحسين عليه السلام لم تؤثر بكيان الدولة الأموية فهو مردود؛ لأن الدولة الأموية قد شعرت بخطورة تحركات الإمام الحسين عليه السلام بل صعوبة الوصول إلى التنظيمات السرية أو بمعنى آخر شبكة الاتباع والأنصار الحسينية وعجزها بالتمام كون تعليمات وتوجيهات الإمام الحسين عليه السلام للقائد مسلم بن عقيل عليه السلام هي السرية التامة في تحركاته وخطواته حينما أمره بـ «تقوى الله وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك» (الطبري، ١٩٨٣م، تاريخ، ج٤: ٢٦٣) مما دفع سلطة دمشق إلى استعمال الأسلوب السري الاستخباري في كشف تلك التنظيمات وعن طريق زرع الجاسوس معقل لاختراق تلك التنظيمات (للوقوف على تفاصيل نشاط وتحركات معقل الاستخبارية، ينظر، الدينوري، ١٩٦٠م، الأخبار الطوال: ٢٣٥-٢٣٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢: ٧٩-٨٠؛ الطبري،١٩٨٣م، تاريخ، ج٤: ٢٨٦)، فلو لم يكن تخطيط الإمام بمستوى الحدث لما اقدمت سلطة دمشق على تغيير فلسفة إدارتها الاستخبارية والعسكرية وبقرينة التقرير الذي رفع من إحدى الجهات الأمنية إلى يزيد بن معاوية والذي فيه أشاره إلى اتباع الجهد الاستخباري ونَصُّ ذلك «وإني جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتى استخرجتهما»(الطبري، ١٩٨٣م، تاريخ، ج٤: ٢٨٥).

٢. إنَّ جزءاً من حركة الإمام الحسين عليه السلام كانت وفق عامل الدعوة والمكاتبة التي قام بها أهل الكوفة فكان ردُّ الإمام عليه السلام إيجابياً وقد استجاب لتلك الدعوة وهو ما يدلل على أنَّ الإمام كان يمتلك الحرية الكاملة في قراراته وتحركاته، وكانت استجابته تلك كنوع من التعامل السياسي الذي يحمل مبادئ اخلاقية وعقدية دينية، وفي هذا الشأن يقدم مرتضى مطهري تحليلاً قيماً عن فلسفة هذا العامل واحتمالية نجاحه وما يترتب عليه بقوله: «فمن خلال عامل الدعوة الكوفية واحتمال نجاحها الذي لم يكن يبلغ أكثر من ٥٠٪

فإنَّ أهمية النهضة الحسينية لا تتجاوز أكثر من بروز فرصة مناسبة للإمام للتحرك» (مطهري، ١٩٩٢م، الملحمة الحسينية، ج٣: ١٧٩).

٣. ويمكن لنا رَدُّ الإشكال الذي ورد آنفاً من أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن بمستوى الحدث من حيث الاستعداد والتهيئة كون كان هدفه الأساس هو تنفيذ النبوءات المستقبلية التي أشارت إلى مقتله وسبي عياله، مما ترتب على ذلك اهمال الترتيبات السياسية والعسكرية ولأنَّ غايته المحورية كانت التضحية في سبيل الله فقط وأنْ يُقتَل وتسبى العائلة، ولكن على العكس من ذلك تماماً فنجد أنَّ واقعة الطف كانت مخططاً لها بدرجة كبيرة من الدقة والتنظيم العسكري فهذا عبد الله بن حازم يحدثنا قائلاً :»أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانئ قال فلما ضرب وحبس ركبت فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين يا عترتاه يا ثكلاه فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملا منهم الدور حوله وقد بايعه ثمانية عشر ألفا وفى الدور أربعة آلاف رجل فقال لي ناد يا منصور أمت فناديت يا منصور أمت وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة وقال سر أمامي في الخيل ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد وقال انزل في الرجال فأنت عليهم وعقد لابن ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة ثم أقبل نحو القصر فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز في القصر وغلق الأبواب»(الطبري،١٩٨٣م، تاريخ، ج٤: ٢٧٦).

٤. وفي ضوء التخطيط العسكري هذا والذي نتج عنه كما أشار ابن أعثم الكوفي إلى حصول مواجهة عسكرية بين الطرفين وإنْ دَلّتْ على شيء فإنما تدل أنَّ الجيش الحسيني كان معداً إعداداً عسكرياً متقناً ونَصُّ ذلك «أقبل مسلم بن عقيل رحمه الله في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفا أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه. قال: وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالا شديداً، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس»(ابن أعثم الكوفي، ١٩٩١م، الفتوح، ج٥: ٤٩).

ولم يهمل الإمام عليه السلام الاستعدادات العسكرية والأمنية حتى في آخر لحظات المعركة بل تفاعل مع التطورات وحاول احداث ردت فعل توازي الفعل المقابل، بعد قراءة فنية عسكرية دقيقة آخذة بنظر الاعتبار الفارق المادي بين الجبهتين لذلك فقد أوعز إلى استعمال أسلوب مغاير ومفاجئ لخطة الخصم وهو حفر الخندق وملاقاة العدو من جهة واحدة وفي الوقت نفسه الحفاظ على العائلة من التعرض لهم من قبل الجيش الأموي، ونَصُّ ذلك «قوموا فاحفروا لنا حفيرة حول عسكرنا هذا شبه

الخندق وأججوا فيه نارا، حتى يكون قتال القوم من وجه واحد لا نقاتلهم ولا يقاتلون فنشتغل بحربهم ولا نضيع الحرم قال: فوثب القوم من كل ناحية وتعاونوا وحفروا خندقا، ثم جمعوا الشوك والحطب وألقوه في الخندق وأججوا فيه النار...» (ابن أعثم الكوفي، ١٩٩١م، الفتوح، ج٥: ٩٦)، وعليه فإنَّ التفكير بهذا الاسلوب يدلُّ على أنَّ الإمام كان على مستوى عالٍ من القدرة في متابعة المستجدات العسكرية وإيجاد الحلول المناسبة والموزاية للحالات الطارئة .

١. ولو بمقدار معتد به من الناحية العسكرية بل وحتى السياسية حصول التفاعل الجماهيري والتأييد الشعبي من قبل المجتمع العراقي سواء من أهل الكوفة الذين كاتبوه بضرورة التوجه إليهم لاستنقاذهم من الاستبداد الأموي وَنصُّ ذلك «للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين، أما بعد فحي هلا، فإنَّ الناس ينتظرونك، لا إمام لهم غيرك، فالعجل ثم العجل والسلام» (اليعقوبي، تاريخ، ج٢: ٢٤٢) ونجد بعد هذه المناشدات الاستجابات السريعة من الإمام الحسين(عليه السلام) إذ أرسل اليهم ثقته القائد مسلم بن عقيل(عليه السلام) وَنصُّ ذلك «أنفذ مسلم بن عقيل بن أبي طالب إليهم، وقال له: اذهب، فاعرف أحوال الناس، وانظر ما كتبوا به، فإنْ كان صحيحا قد اجتمع عليه رؤساؤهم، وتابعهم من يوثق به» (ابن مسكويه، ٢٠٠١م، تجارب الأمم، ج٢: ٤٠) وهنا نجد تفاعلاً واضحاً بين الجماهير الكوفية والإمام الحسين(عليه السلام) ويشير مرتضى مطهري إلى فلسفة هذه الدعوة وأهميتها في حركة الحسين(عليه السلام) قائلاً: «إنَّ انتفاضة الإمام من زاوية عامل الدعوة الكوفية تعتبر نوعاً من الثورة الابتدائية بل وحتى نوعاً من التحرك الذي يستهدف الإمساك بالسلطة...»(مطهري ١٩٩٢،م، الملحمة الحسينية، ج٣: ١٧٩).

ويتجدد الأمر نفسه ولكن بصيغة أخرى في البصرة حيث كتب الإمام الحسين(عليه السلام) «إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الاشراف... قد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإنَّ السنة قد أميتت وإنَّ البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتمه» (الطبري، ١٩٨٣م، تاريخ، ج٤: ٢٦٥) فقد شَخَّص لهم(عليه السلام) مواطن الخلل والإصلاحات الواجب تنفيذها في المجتمع التي عطلها الأمويون، وفي ضوء هذا الحراك السياسي الديني نجد استجابة وتفاعل المجتمع البصري كبيرة جداً وأولى تلك الاستجابات هي ما قام به «يزيد بن مسعود النهشلي فإنَّهُ أحضر بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وقال يا بني تميم كيف ترون موضعي منكم وحسبي فيكم فقالوا أنت فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطا وتقدمت فرطا قال قد جمعتكم لأمر أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه قالوا نمحضك النصيحة ونجهد لك الرأي قال إنَّ معاوية هلك فأهون به هالكا ومفقودا... وقد قام يزيد شارب الخمور ورأس

الفجور...وهذا الحسين بن علي ابن رسول الله ﷺ ذو الشرف الأصيل والعلم والسابقة... فاغسلوها مع ابن رسول الله ونصرته ولا يقصر أحد عنها إلا ورثه الله الذل في ولده والقلة في عشيرته وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها وادرعت بدرعها من لم يقتل يمت ومن يهرب لم يفت فأحسنوا رحمكم الله...» (ابن نما، ١٩٥٠م، مثير الاحزان: ١٨)، ونجد تفاعل يزيد بن مسعود كبيراً مع المشروع الحسيني ولاسيما هو يملك مكانة متميزة في المجتمع آنذاك مما انعكس ذلك إيجابياً في تحشيد الجماهير وحثهم على الانخراط في نصرة الحسين عليه السلام والنهوض معه في تنفيذ تحركه ضد الأمويين، وصورة أخرى تتجلى من صور التفاعل يجسدها يزيد بن نبيط البصري حينما قرر الخروج مع الحسين هو وأبناؤه وفعلاً ذهب حتى استشهد في كربلاء(الطبري، ١٩٨٣م، تاريخ، ج٤: ٢٦٣) ونلمس إشارة غير مباشرة عن تفاعل المجتمع اليمني أيضاً من خلال الاقتراح الذي قَدَّمهُ محمد بن الحنفية للإمام الحسين عليه السلام باستبدال جهة توجهه من العراق نحو اليمن (ابن طاووس، ١٩٩٦م، اللهوف: ٤٠)، ونحتمل وجود تأييد جماهير وشعبي في اليمن ولو لا ذلك لما اقترح ابن الحنفية اليمن قاعدة بديلة عن العراق.

وقد يرد أشكالٌ آخر وهو أنَّ حسابات القواعد الجماهيرية أو القواعد الشعبية والأنصار لم تكن تشكل محوراً مهماً أو هدفاً جوهرياً والجواب على ذلك العكس تماماً فإنَّ تحديد القواعد والاتباع كانت من أساسيات الثورة الحسينية ولولاها لما توجه الركب الحسيني نحو العراق وترك مكة والمدينة بدلالة قول علي بن الحسين:" ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»(الثقفي، الغارات،ج٣: ٥٧٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤: ١٠٣-١٠٤) إذن من المحتمل جداً أنَّ الحركة الحسينية تحركت جغرافياً وفق عامل الاتباع والانصار؛ وذلك لتضمن نصرها في المواجهة مع الأمويين.

والذي يستفاد من ذلك كله وجود حالة من التفاعل الجماهيري وإنْ تنزلنا وقلنا في بداية الحراك الحسيني آنذاك وقد استثمر الإمام هذا التفاعل ورتب عليها العديد من النتائج والاستجابات وفقاً للمتغيرات السياسية آنذاك مما جعله يصنع الأحداث وفق تخطيطه ورؤيته السياسية والدينية فضلاً عن التطورات السياسية المتمثلة بموقف السلطة الحاكمة من جهة ومواقف الأنصار والأتباع من جهة أخرى.

١.فيما يخص الفارق العسكري الكبير بين الطرفين فهو واضح ويصب بصالح الدولة الأموية نتيجة الامكانيات العسكرية من حيث العدة والعدد، لكن هذا لا يعني في كل الحالات إنْ يكون الطرف المتفوق عسكرياً هو المنتصر دائماً، ولاسيما إذ عرفنا أنَّ منهج الإمام الحسين عليه السلام هو طبقٌ للمنهج القرآني الذي عالج مسألة التفوق المادي أو العسكري وآلية مواجهته وهو ما حدث في قصة قوم طالوت وجنوده واتباعه الذين حصلت لديهم حالة من التقهقر والتراجع نتيجة التفوق العسكري للخصم لقوله تعالى ﴿**لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤٩)

أو قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الانفال: ٦٥)، فالمفهوم القرآني لا يشير أنَّ النصر يتحقق للكثرة في كل الحالات فمن هذا المنطلق نستشف أنَّ حركة الإمام عليه السلام كانت وفق الرؤية القرآنية تلك.

٢. الادلة الروائية تشير إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان مصمماً للخروج ضد الدولة الأموية وتحديد جهة الصراع في العراق وبمحض إرادته على الرغم من العراقيل والصعوبات التي كانت تقف عثرة حجر في مشروعه النهضوي، ومن أبرز المعرقلات هو الآراء والمقترحات أو النصائح التي قَدمَّها كبار الشخصيات المتنفذة اجتماعياً ودينياً حينئذ والتي كانت تشير للإمام بعدم الخروج ضد الدولة الأموية أو بعضها أشارت إليه بتغيير توجهه إلى مناطق أخرى غير العراق ومن ذلك ما أشار إليه أخوه محمد بن الحنفية من البقاء في الحرم المكي، ولكن الإمام رفض هذا المقترح معللاً ذلك «يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت» (ابن طاووس، ١٩٩٦م، اللهوف:٤٠)، ومن كلام الإمام يستشف إنه كان يدرس الاوضاع الأمنية جيداً ولم يستسلم للأمر الواقع وإنما كانت تحركاته حسب المتغيرات السياسية والأمنية آنذاك، فيما وجه البعض منهم أتهام خطير لأهل الكوفة ووصفهم بالغدر والخيانة تمهيداً للتأثير على الإمام الحسين عليه السلام بعدم تنفيذ مشروعه الثوري السياسي الاصلاحي ضد الحكم الأموي، فلو كان الإمام لا يملك الحرية الكاملة في تحركاته للتراجع عن توجهه نحو العراق واختيار موطن آخر، (للوقوف على تفاصيل أكثر عن آراء ومقترحات النصحاء، ينظر، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣: ١٦١؛ ابن الأثير، ١٩٦٦، الكامل في التاريخ، ج٤: ٣٨؛ ابن طاووس، ١٩٩٦م، اللهوف: ٤٠).

٣. لَعلَّ الإمام عليه السلام كان يراهن على مسألة تراجع البعض وانفصالهم عن المعسكر الأموي، أو على أقل تقدير القيادات والشخصيات المتنفذة، وهذا ما يفسر لنا كثرة الوعظ والتذكير بعاقبة مصيرهم وفداحة خطئهم، حتى أنَّهُ في آخر لحظاته كان يعظهم عليه السلام إذ حذرهم ووعظهم في غداة اليوم الذي استشهد فيه عليه السلام قائلاً: «عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فإن الدنيا لو بقيت لأحد وبقي عليها أحد كانت الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء غير أن الله تعالى خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والمنزل بلغة والدار قلعة فتزودوا فإنَّ خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون» (ابن عساكر، ١٩٩٤م، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤: ٢١٨). ومن أمثلة ذلك زهير بن القين الذي استطاع الإمام الحسين عليه السلام أنْ يضمه إلى معسكره بعد ان

كان لا يرغب القتال معه وأصبح فيما بعد من أبرز قياداته العسكرية (الطبري، ١٩٨٣م، تاريخ، ج٤، ٢٩٨؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ١٧٨)، ما حصل للحر بن يزيد الرياحي - وكان أحد قادة الجيش الأموي- الذي تحول بفعل نصائح الإمام الحسين عليه السلام من المعسكر الأموي إلى المعسكر الحسيني.

٤. من أهم غايات خروج الإمام عليه السلام ضد الدولة الأموية هو الإصلاح بكل معانيه ومفاهيمه الشمولية الاقتصادية والعقدية والسياسية وإن كانت على المدى البعيد، بالإضافة إلى فك حالة الجمود الثوري السياسي الذي عاشته الأمة آنذاك بفعل القمع الأموي، وقد تمثل الاصلاح السياسي في فتح باب الثورة ضد الاستبداد الأموي والذي استهل مشوراه في حركة التوابين ٦٥هـ وبعدها حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي عام٦٧هـ، أو ثورة زيد بن الإمام السجاد عليه السلام عام ١٢١هـ أو ١٢٢هـ بل حتى الدعوة العباسية فقد جاءت تحت غطاء وتوظيف للمطالبة بدم الإمام الحسين والثأر له والرضا من آل محمد (مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ١٩٤، ٢٠٠؛ الطبري، ١٩٨٣م، تاريخ، ج٦: ٥٤)، وهكذا ترسخ في ذهن الأمة الجانب الثوري السياسي والذي أسهم بشكل أو بآخر بضعف الدولة الأموية ومن ثم سقوطها، ومن الملاحظ إنَّ أغلب الثورات تلك المناهضة للحكم الأموي كانت كردة فعل عن الثورة الحسينية وأحد نتائجها السياسية وثمارها في تطور الوعي السياسي الرافض للاستبداد والقمع بكل أشكاله وألوانه.

٥. إنَّ نسبة نجاح المشروع الحسيني كان وارداً بقوة وهذا ما ذهب إليه العلامة مرتضى مطهري بقوله: «فإنَّ احتمال النجاح كان يشكل ٤٠ أو ٣٠٪ أنْ يعبر الناس عن استعدادهم لتقديم العون والنصرة....»(مطهري،١٩٩٢م، الملحمة الحسينية، ج٢: ٣١)، وأنَّ احتمال هذه النسبة أو قريب منها هو أمراً منطقياً للشروع بالإصلاح والخروج ضد الأمويين، ولاسيما أن الإمام الحسين عليه السلام يحمل الصفة الدينية التي يؤهله للقيام بذلك، وتأسيساً على ذلك فإنَّ طرح فكرة الاصلاح أو التغيير في بداية أمرها قد تكون شبه مستحيلة التحقيق، ولعل فرصة نجاحها تكون ضئيلة، وهذا ما أشار إليه الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون (١٨٥٩م - ١٩٤١م) منْ «أنَّ معظم الإصلاحاتالكبرى التي عرفها التاريخ قد بدت أول الأمر غير قابلة للتحقيق..» (برجسون، ١٩٧١م، منبعا الاخلاق والدين:٨٣).

ويستنتج من ذلك كله أنَّ تخطيط الثورة الحسينية كان وفق المستجدات الطارئة وطبقاً للنواميس التاريخية الطبيعية، ولم يتدخل الجانب الغيبي في فصولها وأحداثها ومنعطفاتها بل كانت خاضعة لحركة الأحداث وتطوراتها في أرض الميدان، وتتماشى مع الرؤية القرآنية في رسم مسار الاحداث والتفاعل معها حيث لم تسلب الحرية من الإمام الحسين عليه السلام في جميع قراراته وخياراته، فضلاً عن ذلك واجه التحديات التي كانت تعترض سبيله بكل

ما كان يملك من قوة وموارد بشرية فكان مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ﴾ (الأنفال :٦٠) الأمر الذي أربك الدولة الأموية وخشيت على سلطانها السياسي، وهذا ما يفسر لنا كثرة استدعائها لقوات دعم عسكرية إضافية من مركز دولتها في الشام إلى ساحة المعركة بقرينة ما ذكره المؤرخ الطبري (الشيعي) بقوله «وكان في تلك الخيل والله أعلم قوم من أهل مصر وأهل اليمن» (ذخائر العقبى: ص ١٤٦) فيما أشار ابن شهر آشوب إلى عدد العناصر الشامية المشاركة في حرب الإمام الحسين عليه السلام بقوله :»وجَهَّز ابن زياد. .. خمسا وثلاثين ألفاً... وشمر بن ذي الجوشن السلولي في أربعة آلاف من أهل الشام» (مناقب آل أبي طالب، ج٢: ٢٤٨).

الخاتمة وأهم النتائج المستخلصة

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج المفيدة والحقائق الواضحة، ويمكن إجمالها بعدد من النقاط الأساسية ومنها :-

١. تعرضت الدراسة وبشكل مستفيض إلى العديد من الإشكالات التاريخية التي ممكن أنْ تطرح على الساحة البحثية ويساء تفسيرها أو تأويلها.

٢. اتضح لنا من هذه الدراسة أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان صانعاً لحدث واقعة الطف وراسماً لمعالمها ومخططاً لخارطتها وتحركاتها، وقد تعامل مع الأحداث بشكل طبيعي وفق المتغيرات والمستجدات السياسية وحركة المجتمع ومقدار تفاعله والمؤثرات الأخرى.

٣. اثبتت الدراسة من خلال تحليل ومقارنة الأدلة الروائية عدم تنافي الأخبار المستقبلية عن واقعة الطف وبعض تفصيلاتها مع إرادة وحرية الإمام في صناعة الحدث وتحريكه.

٤. ناقشت الدراسة أنَّ مسألة عدم التكافؤ العسكري والمادي بين الدولة الأموية والمعسكر الحسيني، وتوصلت إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد وظف العديد من العوامل والمقومات لخلق حالة من التوازن وفق الإمكانيات والموارد المتوفرة لديه آنذاك وقد استثمرها بشكل كبير، وقد أعطت ثمارها ونتائجها وإنْ كانت محدودة منها حَثُّ الخصوم من خلال الإنذار والتذكير والموعظة عن ترك المعسكر الأموي.

٥. ومن ضمن فلسفة الفرد في صناعة الحدث واستثمار عامل الجمهور أو القواعد الشعبية يلاحظ أنَّ هناك تفاعلاً جماهيرياً كبيراً مع المشروع الحسيني وانْ حصل فيه تراجع فيما بعد وقد استجاب الإمام لهذا التفاعل ورتب عليه نتائج كبيرة.

٦. لم تقيد مسألة الإشارات الغيبية التي كان الإمام الحسين عليه السلام على اطلاع تام بها سواء من خلال جده المصطفى صلى الله عليه وآله أم أبيه الإمام علي عليه السلام بخصوص واقعة الطف وبعض تفاصيلها بل تعامل معها الإمام كقائد وصانع للحدث وفق الظروف والأحداث المتسارعة بشكل بعيد عن الاعجاز والغيب. الفلسفة التي تبناها الإمام الحسين عليه السلام في مجمل تعامله العسكري كانت متوافقة تماماً مع الرؤية القرآنية ولاسيما فيما يخص معالجة قلة الأنصار وفاعلية الفرد في صناعة الحدث.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

-ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

١.الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت - ١٩٦٦م).

-ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (توفي بعد٣٥٠هـ/ ٩٢٦م).

٢.الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، (بيروت: ١٩٩١م).

-البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م).

٣.أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، (د. ت).

-الثقفي، ابو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٢٨٣هـ/ ٨٩٦م).

٤.الغارات، تحقيق: جلال الدين المحدث، مطبعة بهمن، (قم: د. ت)

-ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٥.شرح نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، تحقيق: نخبة من الأفاضل، ط١، (قم المقدسة ـ ١٣٦٢ ش).

-الخصيبي، الحسين بن حمدان (٣٣٤هـ/ ٩٣٦م)

٦.الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ، ط٤ (بيروت - ١٩٩١م).

-الدينوري، أحمد بن داود ،(ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م).

٧.الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، ط١، دار إحياء التراث العربي، (القاهرة، ١٩٦٠م).

-الراوندي، قطب الدين (٥٧٣هـ/ ١١٧٣م)

٨.الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ط١، (قم المقدسة ـ١٤٠٩هـ)

-ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

٩.مناقب آل أبي طالب، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، المطبعة: الحيدرية - النجف الأشرف

-ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م).

١٠.اللهوف على قتلى الطفوف، ط١، (قم المقدسة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

-الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١ هـ/ ٩٨٣م)

١١.الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة - (قم المقدسة ـ ١٤١٧هـ).

-الطبري، أبو جعفر جرير بن رستم الطبري (الشيعي) (توفي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي).

١٢.دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات

الإسلامية، ط١، - مؤسسة البعثة - (قم - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)**
١٣.تاريخ الرسل والملوك، تحقيق (نخبة من العلماء) مؤسسة الاعلمي، (بيروت- ١٩٨٣).

- **ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م).**
١٤.تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت ـ ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م).

- **الكليني، محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م).**
١٥.الكافي، تحقيق: علي اكبر غفاري، ط٥، دار الكتب الاسلامية، (طهران ١٣٦٣ش).

- **مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد الرازي، (ت٤٢١هـ/ ١٠٠٣١م)**
١٦.تجارب الأمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط٢، دار سروش،، ٢٠٠١م.

- **المفيد، أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).**
١٧.الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد، (بيروت، ١٩٩٣م).

- **ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٧م)**
١٨.مثير الأحزان ومنير سبل الأشجان، (النجف الأشرف ـ ١٩٥٠م)

- **ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت٤٣٨هـ/ ١٠٤٠م).**
١٩.الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (د.ت)

- **ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).**
٢٠.معجم البلدان، دار احياء التراث العربي،(بيروت ـ ١٩٧٩م).

- **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢هـ/ ٨٩٤م).**
٢١.تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت: د.ت).

ثانياً: المراجع الاجنبية المعربة

- **روزنتال، فرانز**
١.الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، بلا ط.

- **بليخانوف، جورجي**
٢.دور الفرد في التاريخ، ترجمة: إحسان سركيس،د.ت.

- **ديورانت ول واريل**
٣.دروس من التاريخ، ترجمة: يوسف ربيع، عصير الكتب للنشر والتوزيع، (القاهرة ـ ٢٠٢٠م)

- **سايمنتن، دين كيث**
٤.العبقرية والإبداع والقيادة، ترجمة: د. شاكر عبد الحميد، (الكويت -١٩٩٣م)

- **غليز يرمان**
٥.قوانين التطور الاجتماعي طبيعتها واستخدامها، (موسكو ـ ١٩٨٣م)، دار التقدم.

- كارليل، توماس
٦.الأبطال، تعريب: محمد السباعي، ط٣، المكتبة التجارية، (مصر - ١٩٣٠م)

- كامبل، جوزيف
٧.البطل بألف وجه، ترجمة: حسن صقر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، (دمشق - ٢٠٠٣م)

- ويد جري، البان. ج.
٨.التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط٢، مصر.

- برجسون، هنري
٩.منبعا الاخلاق والدين، ترجمة: د. سامي الدروبي، د. عبد الله عبد الدائم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١.

- مكيافللي، نيكولو دي برناردو دي
١٠.الأمير، ترجمة: اكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا (القاهرة - ٢٠٠٤م)

ثالثاً: الدراسات والأبحاث

- برغش، سعدون عبد الهادي
١.الجبرية في الفكر العراقي القديم، بحث منشور في مجلة واسط للعلوم الانسانية، العدد (٢٣).

- الحسن، سندس صبيح محمد.
٢.الثورة الحسينية في الرواية السلفية حتى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، دراسة تحليلية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، ٢٠٢٠م.

- صاحب، أحمد عليوي.
٣.مسيرة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٧م.

- الميالي، سحر علاوي عزوز
٤.مفهوم البطولة في الفلسفة المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - قسم الفلسفة، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣م.

رابعاً: المراجع العربية الثانوية

- البدري، سامي
١.النهضة الحسينية، رؤى معاصرة عرض وتقييم، ط٢، (النجف - ٢٠١١م)

- الحيدري، كمال
٢.الإنسان بين الجبر والتفويض، مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام للفكر والثقافة، (بيروت - ٢٠١٤م)
٣.علم الإمام، تقرير: الشيخ علي حمّود العبادي، ط١، (قم- ٢٠٠٨م).

- السبحاني، جعفر
٤.لب الأثر في الجبر والقدر، ط١، (قم-١٤١٨هـ)

- مرتضى، مطهري
٥.الملحمة الحسينية، ط٢، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، (لبنان - ١٩٩٢م)